إحياء للشخصية الفلسطينية في «رجال من فلسطين كما عرفتهُم» لعجاج نويهض

صدر أخيراً، عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت/ رام الله)، كتاب بعنوان «رجال من فلسطين كما عرفتهُم» للمؤرّخ والأديب والصحافي والمترجم اللبناني القومي العربي، الراحل عجاج نويهض (1896-1982)، جمعته وصنّفته ابنته الباحثة والمؤرّخة بيان نويهض الحوت، وقدّم له كلاً من الباحث والكاتب خالد فرّاج (مدير عام المؤسسة، وعضو لجنة الأبحاث فيها)، والباحث والمؤرّخ ماهر الشريف، وتولى الباحث سمير الديك (محرّر رئيسي في المؤسسة)، التدقيق والفهرسة.

جاء الكتاب، في خمسمائة وثمانية وخمسون صفحة (مع فهارس الأعلام والأماكن وفهرست عام). ووفقاً للناشر، فإنّ "هذا كتاب عن رجال من فلسطين عاشوا في وطنهم فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، وكانوا في طليعة النخب السياسية والعلمية والأدبية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية، ومنهم أيضاً من لا يذكرهم سوى الأقرباء والجيران، غير أنّ المؤرّخ توقّف عندهم، ذلك لأنّ غمار الناس كانت لهم أيضاً أياديهم البيضاء...". ولفت الناشر أنّ مضمون الكتاب "أكثر شمولاً وأبعد مدى من عنوانه. فهو في حقيقته ليس عن رجال من فلسطين كما عرفهم المؤرّخ فحسب، بل هو أيضاً عن فلسطين وعبق تاريخها وأصالة شعبها وعدالة قضيتها، وعن رجالاتها الذين أدركهم المؤرّخ وعرفهم".

يذكر خالد فرّاج وماهر الشريف عن نويهض، في تقديمها للكتاب، أنه "من رجالات الحركة الوطنية العربية الفلسطينية البارزين، كما عمل نحو عشرة أعوام سكرتيراً للمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى برئاسة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني، وساهم في تأسيس حزب الاستقلال، وأسّس مجلة "العرب"..". أمّا المقدّمة التي وضعتها المؤرّخة بيان نويهض الحوت، فتختصر فيها تعريف ما جاء في الكتاب.

فصولٌ من حياة حافلة بالعطاء

مؤلّف الكتاب، عجاج نويهض، موطنه الأول لبنان، وانتقل إلى دمشق في عهدها العربي. ثم استقر في القدس منذ سنة 1920 لمدة خمساً وعشرين سنة من عمره، وفيها درس الحقوق، وعمل في المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، وفي المحاماة، والترجمة، والصحافة، وأنشأ مجلة "العرب"، وعمل مديراً للإذاعة العربية في القدس أثناء الحرب العالمية الثانية. وكان له دور فعال في تأسيس حزب الاستقلال العربي عام 1932 الذي كانت أهدافه الرئيسة

مناهضة الاحتلال البريطاني لفلسطين ومقاومة الاستيطان اليهودي. فاعتقلته سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين أكثر من مرة بسبب مواقفه الوطنية وكتاباته، وأبعدته أولاً إلى أريحا ثم وضعته في معتقل الصرفند.

انتقل نويهض بعد النكبة سنة 1948 إلى عمّان ثم لبنان، التي عاش فيها حتى تاريخ وفاته في 25 حزيران/ يونيو 1982. وكان أول من نقل للعربية كتاب «برتوكولات حكماء صهيون»، ومن مؤلّفاته كتاب بعنوان «رجال من فلسطين: ما بين بداية القرن حتى 1948»، صدر عن منشورات فلسطين المحتلة، في بيروت عام 1981. وهو من المؤمنين بالعروبة إيماناً بلا حدود، وكانت موضوعات كتبه ومقالاته: القضية الفلسطينية؛ الصهيونية وأبعادها العنصرية؛ قضايا عربية وإسلامية.

كتبت ابنته، الباحثة والمؤرّخة بيان نويهض الحوت، في ذكرى ميلاد والدها الـ 122، على جدار صفحتها في موقع "فيسبوك"، فصولاً من سيرته الحافلة بالعطاء، ذاكرة أنه "انتقل وهو فتى من مدرسة "مستر أوليفر"، في رأس المتن، إلى ثانوية "برمّانا"، ولما وقعت الحرب الكبرى ودخلت بريطانيا الحرب أقفلت المدرسة أبوابها، فانتقل إلى ثانوية "سوق الغرب"، التي لم تكن إنكليزية كمدرسة "برمّانا" بل أميركية، ولم تكن الولايات المتحدة قد دخلت الحرب. ومنها حمل الشهادة الثانوية. كذلك حمل على مدى العمر شكره العميق لأساتذته الذين أخذ عنهم اللغة العربية، وهم وفقاً لتتابع مدارسه: طانوس قرطاس، ونجيب شمعون، ونجيب حتّي. ولما غادر شاباً مسقط رأسه متوجهاً إلى دمشق بعد أن قامت فيها أول دولة للعرب، حمل معه من وطنه الأول مشهداً من الذكريات ما كان لينساه طوال حياته. وهو مشهد "سرايا عاليه"، التي كانت تعتقل بين جدرانها أحرار العرب. كان يذهب مع رفاقه في المدرسة مشياً على الأقدام من سوق الغرب إلى جارتها عاليه، وكانوا يقفون تحت نوافذ السراي الكبير، وكلهم يأملون بأن يتعرفوا يوماً على المعتقلين الأبطال، وحتماً، ما كان يسمح لهم بزيارتهم. غير أنّ جمال باشا السفاح كان يتفوق على هؤلاء الشباب ذكاء وخداعاً وبطشاً، فهو قد فاجأهم بإعدام الأحرار مرتين، فكانت الأولى في 11 آب/ أغسطس 1915، والثانية في 6 أيار/ مايو 1916. وهكذا تعلم عجاج نويهض معنى العروبة من دون معلم. وعاش عمره حتى غادر الدنيا بعد ستة وثمانين عاماً، في 25 حزيران/ يونيو 1982، وهو يكتب، حتى في أعوامه الثلاثة الأخيرة؛ كان يكتب وهو مقعد في فراشه، استمر يكتب المقالات عن تاريخ العرب ونضالهم، وعن القدس وأحيائها وحاراتها وأبوابها بأدق التفاصيل. كان مؤمناً بالعروبة إيماناً لا يُبارى، وكان قدَره أن يعرف العروبة في عهد جمال باشا

السفاح، وأن يودعها وأن يرحل عن الدنيا بعد أن دخل السفاح أرئيل شارون بعبدا".

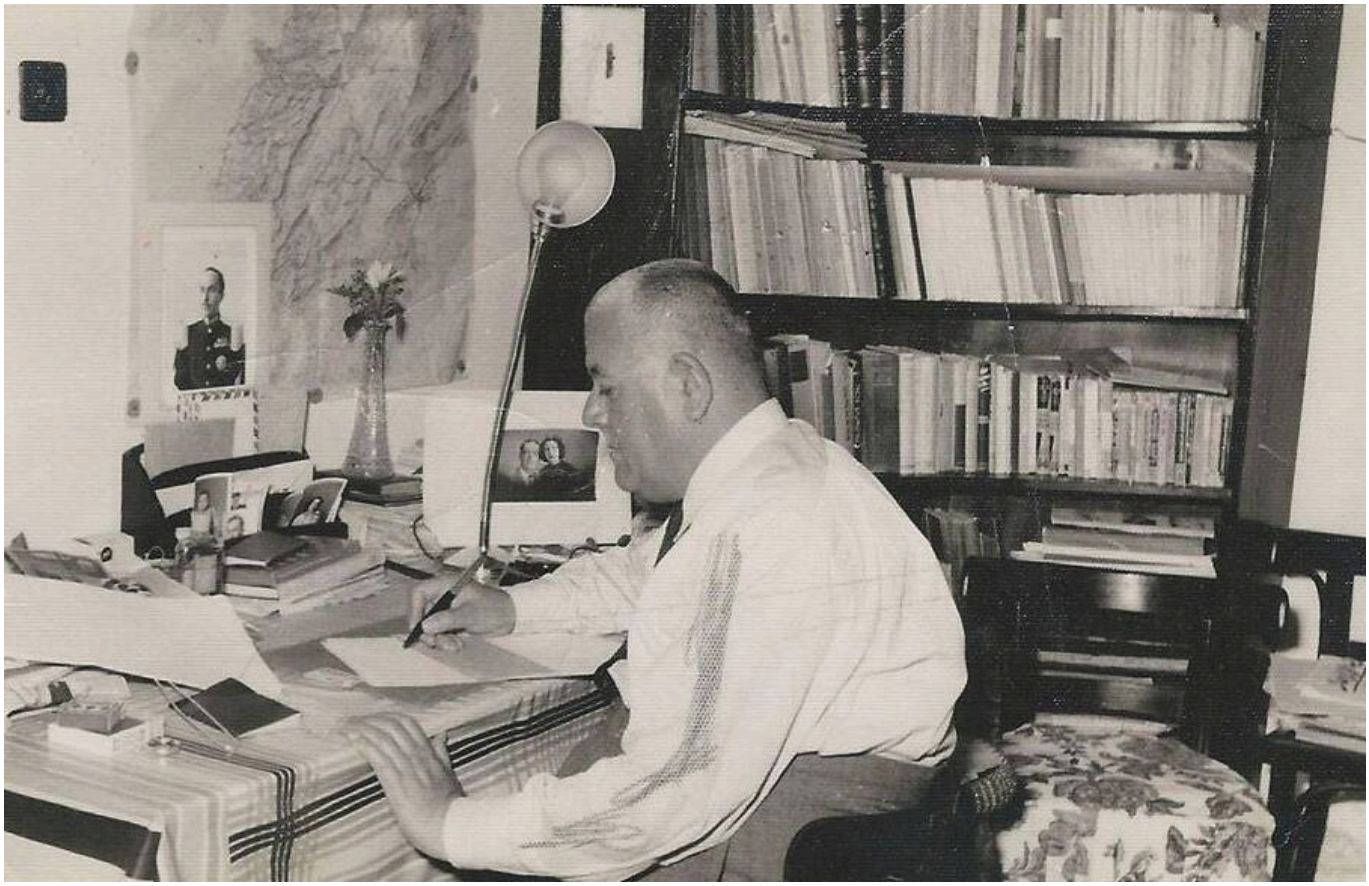

سير مشاعل النهضة في فلسطين

كتاب «رجال من فلسطين كما عرفتهُم» بُعدُّ من نفائس كتب تراجم الفلسطينيين في النصف الأول من القرن العشرين، إلى جانب عدد من الكتب التي أذكر منها، «من هو؟ من رجالات فلسطين» لأحمد خليل العقاد (يافا: مكتب الصحافة والنشر، 1946)؛ «من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» ليعقوب العودات (عمّان: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1976)؛ «أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800 ـ 1918» لعادل منّاع (القدس: جمعية الدراسات

العربية، 1986)؛ «طلائع النهضة في فلسطين (خريجو المدارس الروسية) 1862 ـ 1914» لحنّا أبو حنّا (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2005).

القسم الأوّل من هذا الكتاب الذي نستعرضه هنا، حمل عنوان «حَمَلة مشاعل النهضة الفكرية الوطنية في فلسطين العربية»، كتبه نويهض خلال الفترة 1961-1962، في سلسلة من المقالات الأسبوعية في جريدة "الأنوار".

يحتوي هذا القسم على اثني عشر فصلاً، ضمت تراجم لأكثر من مئتي فلسطيني كان المؤرّخ يعرفهم، وقد كتب عن بعضهم فقرات مطولة، وعن آخرين فقرات موجزة، وأطلق على هذه "التراجم" أوصاف اللُمَع أو القبسات أو الشذرات، وهي في جوهرها نتاج الوجدان والقلب والعقل والذاكرة. أمّا فلسطين، فهي الغاية التي سعى إلى تأريخ صروحها الثقافية، ومعاهدها التربوية، وإنجازات علمائها، وبطولات شهدائها من خلال هذه اللُمَع، معتمداً النزاهة في التوصيف وسرد الحكاية.

يقول نويهض في هذا الصدد: "الصراحة التي عندي إنما زمامها بيديّ، لا أستجديها أحداً، ولا أستقرضها استقراضاً". ويذكر أنه لم يتبع نهجاً معيناً لاختيار أصحاب اللُمَع، غير أنّ "فلسطين تبقى هي القلب من وراء ذلك كله".

عناوين فصول القسم الأول على التوالي، هي: في "مدينة عمر"؛ رواد في الحركة العربية من آل التميمي؛ أصول الروح الوطنية والنهضة الأدبية والمعاهد الأولى؛ "المصانع" التي غذت حركة الأذهان في فلسطين؛ تأريخ حركة الأذهان الفلسطينية؛ حركة "الشباب العربي الفلسطيني"؛ رافع الفاهوم تصدى للحكومة الجائرة بجرأة نادرة؛ رجال "حزب الاستقلال العربي الفلسطيني"؛ "الأمانة" باسم عبد الفتّاح ملحس؛ "الجندي المجهول" في فلسطين؛ بولس سعيد وأول مكتبة حديثة في القدس؛ الخالديّون: أعلام عربية شامخة في العلم والفكر والوطنية.

أما القسم الثاني من الكتاب، الموسوم بـ «هؤلاء كما عرفتهم: حياتهم، عطاؤهم، تراثهم»، فيشتمل على واحد وعشرين فصلاً، تراجم لواحد وعشرين من رجالات فلسطين، ولكل منهم فصلٌ مستقل. وتستند مصادر هذه الفصول إلى الأوراق الخاصة لنويهض، وإلى مذكراته المعنونة «ستون عاماً مع القافلة العربية»، وإلى عدة مقالات كتبها في الدوريات العربية منذ النكبة سنة 1948 حتى مطلع ثمانينيات القرن العشرين. وهي لم تكتب بناء على تخطيط

مسبق. غير أنّ المؤلّف كان شديد الوفاء لأصدقائه ورفاق دربه، فعندما يرحل أحدهم إلى دنيا البقاء كان يكتب عنه مقالاً أو سلسلة من المقالات.

رجالات هذا القسم، منهم قادة الثورات والشهداء، وزعماء القيادات السياسية العليا والقيادة المعارضة، ورؤساء الأحزاب، ومنهم المؤرّخون ورجال الدين والتربية والصحافة والأعمال. وهم على التوالي: موسى كاظم باشا الحسيني، والشيخ سعيد الكرمي، والشيخ المجاهد عز الدين القسّام، وجورج أنطونيوس، وعبد القادر الحسيني، وعبد القادر المظفّر، وفايز الحدّاد، وراغب النشاشيبي، وصبحي الخضراء، وأحمد سامح الخالدي، ورشيد الحاج إبراهيم، وخليل السكاكيني، وعادل جبر، ووديع البستاني، وتوفيق أبو الهدى، والشيخ سليمان التاجي الفاروقي، وهاشم السبع، وأحمد حلمي عبد الباقي، وعوني عبد الهادي، وعبد الحميد شومان، والحاج محمد أمين الحسيني.

يوضح نويهض في ثنايا الكتاب، أنه عرف رجال فلسطين من سياسيين ومفكرين وعلماء دين وأدباء وصحفيين، ومن عاش فيها من النخبة الفكرية والأدبية العربية، ولقيهم لقاءً وافياً، منحه الفرصة للحديث عنهم على نحو متميز، وكانت غايته من ذلك "إحياء الشخصية العربية الفلسطينية". ويظهر جليّاً ما هدف إليه، ألا وهو بيان ما كان يعتمل في نفوس النخبة الفلسطينية والعربية الثائرة ضد المؤامرة البريطانية الصهيونية بخاصة بعد إطلاق "وعد بلفور" المشؤوم، الذي مَنحت بموجبه بريطانيا حقاً لليهود في تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين، بناءً على المقولة المزيفة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، وإظهار حماسة تلك النخبة وتضحياتها من ناحية، وبيان اشتداد حنق المحتل البريطاني وقادة الحركة الصهيونية الناشئة آنذاك على أصحاب الأرض الأصليين من ناحية ثانية؛ فوفقاً لمصادر تاريخية فقد بلغ عدد الذين زجّت بهم سلطات الاحتلال البريطاني بالمعتقلات، في إضراب عام 1936 نحو خمسة آلاف فلسطيني.

إنّ كتاب «رجال من فلسطين كما عرفتهُم»، هو آخر ما عكفتْ على إعداده وتصنيفه ونشره ابنة المؤلّف، الباحثة والمؤرّخة بيان نويهض الحوت، التي أولت أهمية كبرى لإرث والدها، حيث أصدرت قبل ثلاثين عاماً مذكراته بعنوان «مذكرات عجاج نويهض – ستون عاماً مع القافلة العربية» (بيروت: دار الاستقلال، 1993). ونشرت بعد ذلك أحاديثه ومراسلاته مع اثنين وثلاثين رائداً من روّاد الحركة العربية، في كتاب حمل عنوان «أحاديث ومراسلات عجاج نويهض: الحركة العربية 1933 ـ 1905» (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2022). ومن مؤلّفات بيان عجاج نويهض

إحياء للشخصية الفلسطينية في «رجال من فلسطين كما عرفتهُم» لعجاج نويهض

الحوت: «صبرا وشاتيلا: أيلول 1982» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)؛ «القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين، 1917 ـ 1948» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1981)؛ «الشيخ المجاهد عز الدين القسام في تاريخ فلسطين» (بيروت: دار الاستقلال، 1987)؛ «فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة: التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين ـ 1917» (بيروت: دار الاستقلال، 1991).

الكاتب: أوس يعقوب